التطورية الثقافية عند ريتشارد داوكينز
Cultural evolutionism by Richard Dawkins

اسماعيل مهنانة
جامعة عبد الحميد مهري-قسنطينة 2 –
Mehnanasmail2000@yahoo.fr
هدى سرايعية
Houda-seraiaia@outlook.fr
جامعة عبد الحميد مهري-قسنطينة – 2-

تاريخ الاستلام: 2023/08/22 تاريخ القبول: 2024/05/27

ملخّص

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على نظرية جديدة تعنى بتفسير المتغيرات الثقافية ألا وهي "التطورية الثقافية " أو كما يطلق عليها صاحبها ريتشارد دواكينز " الميمياء"، حيث قدّم تفسيرا مغايرا لكيفيّة نشوء وتطور الثقافات عبر التصور الدارويني، إذ يقترح تفسيرا كيفيا لانتقال الأفكار والممارسات ضمن الجماعات مستندا إلى نمط انتشار المورثات(الجينات) عبر ما اصطلح عليه "الميم" .قام داوكينز بتطبيق الميمياء على نموذج الدين مفككا بذلك أصوله وجذوره منتهيا إلى أن العلم وحده كفيل بتقديم إجابات شافية ووافية حول الحياة وصيرورتها اللامتناهية.

كلمات المفاتيح: الداروينية، التطور، الميم، الميمياء،الثقافة.

Summary

This study aims to shed light on a new theory concerned with explaining cultural variables, namely "cultural evolutionism" or, as its author Richard Dawkins calls it, "memetics". He offers a different explanation of how cultures emerge and develop through the Darwinian concept, as he

proposes a qualitative explanation for the transmission of ideas and practices within groups based on the pattern of the spread of genes through what he termed "meme". Dawkins applied the meme to the model of religion, deconstructing its origins and roots, concluding that only science can provide satisfactory answers about life and its infinite becoming
Key words:Darwinism, Evolution, Meme, Memetic, Culture.
المؤلف المرسل: سرايعية هدى،الإيميل: Houda-Seraiaia@outlook.fr

مقدمة:

تتميز المرحلة الراهنة في فلسفة العلوم بارتفاع منزلة الرؤى التي تأتي من ميدان البيولوجيا نظرا للتطورات الخطيرة التي حدثت في مضمارها، وفي تطبيقاتها المتوغلة في شتى مناحي الحياة.الأساس المنهجي للبيولوجيا العامة هو النظرية التطورية التي كانت بمثابة ثورة مدوية ألقت بظلالها على ساحتي العلم والفلسفة على السواء،ولم تخبُ أبدا انعكاساتها وتأثيراتها المتوالية في الفكر الفلسفي. في هذا السياق نجد" "ريتشارد داوكينز" Richard Dawkins"،أهمّ التطوريين المعاصرين يُولي اهتماما واسعا بهذه المسألة حيث تطور النظرية ذاتها بل ويسعى إلى تقديم نظرية جديدة تعنى بتفسير المتغيرات الثقافية ألا وهي نظرية «الانتخاب الثقافي" أو كما يطلق عليها صاحبها "**الميمياء**". إذ يقترح تفسير التطور الثقافي بآلية مساوقة للتطور البيولوجي ومنه يحق لنا أن نتساءل: ما الجديد الذي تقدّمه هذه النظرية في فهم وتفسير المتغيرات الثقافية؟ وهل يمكن اختزال التطور الثقافي ضمن نظرية بيولوجية للتطور؟

أولا-التطورية الداروينية وآليات الانتخاب

يمثل التطور نظرية مهمة جدًّا في الأوساط العلمية، وحتى غير العلمية كونها استقطبت عدة مجالات، اجتماعية منها واقتصادية والثقافية أيضا، حيث كانت هذه النظرية مجرد فكرة أو إيماءات إن صح القول إلّا أنها تعززت مع "داروين"، وأصبحت حقيقة مع تطور البيولوجيا وعلم الحيوان والوراثة.لكن ما يهمنا هو عرضها من خلال رؤى "داروين"، كونها الخلفية الأساسية التي تشكلت من خلالها أفكار "داوكينز" وشملت على عدة مبادئ منها. وأعطت فيما بعد فيما أصطلح على تسميته بالداروينية الجديدة Neodarwinism:

أولاً: يستمر التطور بطريقة تدريجية مع تراكم تغيرات صغيرة على فترات زمنية طويلة.

ثانياً: ينتج هذا التغير عن الانتقاء الطبيعي مع نجاح التكاثر التفاضلي الذي يستند إلى سمات مواتية.

ثالثاً: هذه العمليات لا تشرح فقط التغييرات داخل الأنواع، ولكن أيضا العمليات ذات المستوى الأعلى، مثل منشأ الأنواع الجديدة مما ينتج التنوع الكبير في الحياة.[1]

فكلّ ما يحتاجه للتطور هو الوراثة، حيث يُشبه الجيل الجديد آباءهم عند التكاثر والتنوع؛ وأن يكون التشابه بين الأجيال قريبًا، لكن ليس كاملا؛ بحيث كلّ دور يشمل تنوعًا جديدًا في الصفات، يضاف إلى خاصيّة الاختيار. بمعنى تكون علاقة بين بعض هذه التنوعات وإمكانية بقاء هذا الفرد على قيد الحياة.[2] وبهذا يؤكد "داروين"أنّ ظهور أنواع جديدة سببه ذلك والصراع بين الكائنات كثيرة النسل، للحفاظ على بقائها بالقدرة الكافية للمقاومة والتكيف مع متغيرات البيئة. إلّا أنّه هناك أشكال أخرى للتطور، كالطفرة والصدفة:

"حيث يعتمد التغير التطوري على ظهور أشكال متنوعة جديدة من الكائنات، أي (طفرات) وهذه الطفرات تسببها تغيرات مستمرة في المادة الوراثية المنقولة من الوالدين إلى الآباء".[3]وتكمن أهمية التطفر كونه "هو في النهاية مصدر التنوعات الجينية الجديدة، ودونها لا يمكن أن توجد تغيرات جينية. ولذلك يكون ضروري للتطور".[4] حيث "تقع الطفرات أو الانحرافات التصادفية بعض الشيء تحت الضغط الانتخابي للصراع المتبادل، أو تحت الضغط الانتخابي الخارجي الذي يُقصي الانحرافات الأقل نجاحا. هكذا يتبين أن القوة التطورية أو الثورية هي الانتخاب".[5]

فالانتخاب الطبيعي والطفر يشكلان معًا عملية التطور، إضافة إلى أهمية الصدفة التي تعمل في آن واحد مع الانتخاب الطبيعي، فبفضلها يتمّ التعرّف على الجينات التي يؤثر عليها الانتخاب في عملية التكيف. وهذا يخص الانتخاب الطبيعي وآلياته، ونجد "داروين"يؤكد على الانتخاب الاصطناعي: إذ "تعديل الكائنات بواسطة البشر هو أمل ممكن الحدوث على نحو منظّم، ويمكنه أنْ ينتج مظهر التصميم نفسه الذي نراه في الطبيعة، من خلال الاستيلاد الانتقائي للحيوانات والنباتات ذات السمات المرغوبة، مثل استيلاد الكلاب من الذئاب، فهي في جوهرها مجموعة فرعية من تابعات الذئب". [6]

لقد فسّر "داوكينز " اشتغال الداروينية على نحو مغاير تماما لسابقيه ومعاصريه من علماء الأحياء، إذ رأى اشتغال الداروينية لا تهدف إلى صلاح الفصيلة "المجموعة" بل الفرد "الجينة". واستخدم لهذا الغرض عبارة "جين أناني"،محاولة لفحص نظرية التطور من خلال النظرة القائلة بـ"مركزية الجين" وليس العضوية. بمعنى أنّ أصل التطور هو خدمة للجين (المورث) وليس لصالح الكائنات الحية،والصراع من أجل البقاء لصالحه. هنا تحديدا نقطة الالتقاء والتباين مع النظرية الداروينية في فكرة أو فرضية الصراع من أجل البقاء والانتخاب الطبيعي - الذي لا يعرف رحمة- والبقاء لا يكون إلا للأقوى والأصلح.

إنّها وجهة نظر معارضة لوجهات نظر تطورية أخرى كتلك التي تركز على الكائن الحي والمجموعة.فالفكرة هي امتداد لما سبق افتراضه وقبوله لفكرة التطور المعارضة لفكرة الثبات والخلق وتُعد قطيعة معها، مادامت تجعل موضوع التطور يخصّ الجين وليس الكائن.إنه منعرج هام وخطير في فهم وجهة نظره ويعتبر انجازا خاصا، إلا أنّه لا يتوقف عند منتصف الطريق بل يستمر في تعميق وجهة نظره إلى أبعد حد.

ثانيا: النظرية الميميائية: مقاربة تطورية في تفسير الظواهر الثقافية

يسعى "داوكينز" إلى الدمج بين التطور على المستوى البيولوجي والتطور الثقافي l'évolution culturelle، بمعنى أدق يهدف إلى تفسير الظواهر الثقافية بواسطة آليات التطور وما يعرف بـ "**الميمياء**". تمثل نظرية الميمات أو الميمياء نموذجا مبتكرا في دراسة التغيرات الثقافية عبر استعارة مفاهيم العلوم البيولوجية وهي تطبيق جديّ للتفكير التطوري على الثقافة. وفهم الإنسان المعاصر يدفعنا التخلي عن المورّث كقاعدة أساسية وحيدة لأفكارنا عن التطور. كما أنّ نظرية "داروين" أهم من أنْ تُحصر في السيّاق الضيّق للجينة. [7]

تنسب نظرية الميمات إلى "داوكينز" باعتباره مخترع مفهوم الميمة ""meme" في كتابه "الجينة الأنانية""Le Gène Egoiste " . حيث عرض مفهوم "الميم" وحدة نقل للثقافة. أمّا كلمة "ميم" ذاتها فهي معارضة لكلمة "جين" الإنجليزية "Gène" وقد استمدها بمعنى ذاكرة: فالميم هو مورث الثقافة مثلما يكون الجين مورث الطبيعة.[8]في كتابه "الجينة الأنانية""Le Gène Egoiste " يصف "داوكينز" الجينات بأنّها: كائنات أنانيّة تكابد فقط من أجل إنتاج أكبر عدد ممكن من النسخ المطابقة لها. وجسم الكائن الحيّ مجرد أداة لإنتاج المزيد من الجينات. فالجينة معلومة وراثية تصادف انحيازا انتخابيا مواتيا أو غير موات، ومعدلا باطني المنشأ لمرات عدة. وهذا ما تبنّاه "داروين"ووسّعه ليشمل كافة المضاعفات أو النواسخ Réplicateurs".وخلاصة نظريته: أنّ الكائنات

الحيّة هي بنيات تنسخ أو تضاعف نفسها عن طريق الجينات. فالجينة تؤثر في الكائن الحيّ والمحيط الموجود فيه. إنّها العامل الأساس في تكوين الكائن الحيّ وتؤثر بشكل غير مباشر في محيطه. وهذا ما نقله إلى مفهوم "الميمة": إنّها أصغر وأبسط وحدة ثقافية أو فكرية تنتقل أو تتناسخ من عقل لآخر وصانعها وراعيها هو عقل الإنسان فيمكن تشبيه الميمات بالجينات الوراثية".[9]فهل للميمات وجود فعلي في الدماغ أم هي مجرد نموذج تفسيري؟

إنّ نظرية الميمات تشبه الأفكار والثقافات، إنّها مجموعة مترابطة في منظومة أو بنية واحدة بكيفية اشتغال الجينات. فالأفكار تنتشر أو تتناسخ في العقول مثلما تتناسخ وتنتشر أفراد أنواع الكائنات الحية. فمثلما تتناسخ وتنتشر وتتطور الجينات، تتناسخ وتنتشر الأفكار. ومثلما تنقرض بعض أنواع الكائنات الحية تنقرض بعض الأفكار. ومثلما تتنافس وتتصارع الكائنات الحيّة وتخضع للانتخاب وتبقى الكائنات المتوافقة مع الأوضاع والظروف، وتتنافس وتتصارع الأفكار وتبقى الكائنات المتوافقة مع الأوضاع والظروف. و يجدر الذكر أنّ الذي يبقى من الكائنات أو الأفكار أو الثقافات ليس أفضلها بل أكثرها توافقا مع الأوضاع والظروف.ومثلما تكوّنت مجتمعات الكائنات الحيّة من عدد الأفراد وتنوّعت، كذلك حدث ذلك للأفكار. وعليه فإنّ ازدهار فكرة ما هو نجاحها في التناسخ عبر العقول وقيمتها وامتيازها القيمي يكون عرضي. فالأفكار الجيّدة يمكن أنْ تذوب والأفكار الرديئة يمكن أنْ تتعدى مجتمعات بأكملها.[10]

على هذا النحو تفترض الميمياء -وفقا لـ"داوكينز"-أنّ العقل البشري هو بيئة صالحة لحياة "الميم"، فبإمكانه أن ينتشر ويتكاثر بل وأنْ يتكافل مع كائنات أخرى وتتنافس الميمات فيما بينها من أجل البقاء الأصلح والأقوى منها. والانتقاء الطبيعي تمارسه الظروف، التي تقرّر الأقدر على البقاء. إنّ قرارات الإنسان وسلوكه تناظر في نظرية الميمات، الأحداث الجيولوجية والمناخية في نظرية التطور. وتبعا لهذا يمكن القول، أنّ المقاربة الميميائية تسعى إلى تفسير

الطفرة mutationالحضارية الثقافية في التاريخ الإنساني والتي تعجز الجينات والتطور البيولوجي لوحده عن تفسيرها بصورة كاملة.

1-الجين الثقافي/ الميمة Meme

يُقرّ "داوكينز"بظهور نوع جديد من المتضاعفات، يحقّق تغيّرا تطوريا بسرعة فائقة. ولابد من إيجاد اسم نطلقه على هذا المتضاعف، يُجسّد فكرة الوحدة القائمة على الانتقال الثقافي أو القائمة على التقليد. والميمة(Meme)كلمة مشتقة من المصدر الإغريقي (Mimeme) التي تعني الشيء نفسه، المتماثل أو المتشابه ولقد بين ذلك "داوكينز" في كتابه (الجينة الأنانية):" صحيح أنّ المصطلح "ميميم" Mimeme » مشتق من جذر إغريقي ملائم، إلاّ إنّني أود استخدام كلمة أحادية المقطع على قياس "الجينة". وأتمنى أنْ يغفر لي أصدقائي الكلاسيكيون اختصار كلمة" ميميم" إلى "ميم" وربما يجد هؤلاء بعض العزاء في إمكان التفكير في هذه الكلمة لكونها ترتبط نسبيا بالكلمة Memory (الذكرى) أو بالكلمة الفرنسية Même (الشيء نفسه) وتلفظ الكلمة على وزن "كريم" Cream".[11]

فالميمة–حسب "داوكينز"- متناسخ يُعبّر عن وحدة انتقال ثقافي قائمة على التقليد، كما اعتبرها وحدة معلومات تقيم في الدماغ.إنّها أبسط وحدة ثقافية مناظرة للجينة في البيولوجيا ومثلما إنّ الجينة تنزع إلى بقاء الذات وإلى استمرار الوجود من خلال تناسخها أو تضاعفها ذاتيا. فالميمة باعتبارها وحدة أولى للثقافة نزّاعة للبقاء. ومثلما الانتخاب الطبيعي هو آلية التطور البيولوجي وصراع تباين وطفرة وقدرة على التكيّف وبقاء الأصلح، كذلك الانتخاب الميمي. أي أنّ الانتخاب بين الثقافات ممثلة في وحداتها أو مركباتها –المركب الميمي-مثل العقيدة أو الرأي أو الزي أو اللحن...الخ. ممّا يعني صراعا وجدلا ومنافسة بين الثقافات واختيارا وانتخابا بين البشر أيضا.[12]إنّ الميم في الثقافة كالجين في الأحياء تماما.

فإذا كان الجين هي المعلومات الوراثية المنقولة في الكروموزومات (الصبغيّات) chromosomes. فالميم هووحدة ثقافية معينة تتناقلها الكائنات وتتعلّمها من بعض أفرادا وجماعات وجيلا من بعد جيل. وآلة حفظها ونقلها هو الدماغ الذي يأخذ في الأطروحة الميمائية دور حاوية الحساء الأولى الذي تكونت فيه الناسخات أو المتضاعفات الأولى التي تطورت فيما بعد.إنّ التقليد هو الذي يجعل الميمات تتضاعف ومثلما تفشل بعض الجينات في استنساخ نفسها تفشل بعض الميمات في تحقيق ذلك.

وإذا كان دور التطور البيولوجي هو تصميم سلوكات في جينات الحيوانات وأحيانا أخرى في النباتات فالتطور الميمي يختص ببرمجة عقل الإنسان فحسب. ويوضح مفهوم الميم بقوله: "هو وحدة النّسخ في التطّور الثقافي التي يمكنا الانتقال من مخ لآخر، وتعيد تصميم المخ قليلا كي تجعله مقرا أفضل لها وللميمات الأخرى، يفتح آفاقا للتفكير في الظواهر النّفسية، الإدراكية والعاطفية".[13]

وترتكز النظرية الميميائية على ثلاثة شروط:

1. نشوء الظاهرة ما يسمى هذا بالتحديد أو الإبداع، وانتشار الظاهرة من إنسان إلى آخر، من جماعة إلى أخرى. ويمكن التعبير عن هذه الخاصية بالتكاثر أو النقل أو المحاكاة، وأخيرا الانتخاب الذي يعتبر عاملا أساسيا في التأثير على الظاهرة من حيث كثرة انتشارها أو قلتها. ويكون هنا الاختيار اختيارا واعيا.[14] بمعنى الانتخاب الثقافي[15] لديه ملكات واعية يعتمد عليها في انتقاء الظاهرة الأهم والصالحة أكثر للانتشار وبالتالي المحاكاة مع عقول عديدة في مجتمعات مختلفة. ولنجاح أي متناسخ في الانتشار سواء الجيني أو الميمي، حدّد "داوكينز" ثلاث خصائص منها الأمانة في النّسخ وتعني حفاظ النُسخ المتكررة لمرات عديدة على خصائص أوّل نسخة.

2. الخصوبة، لابد من كلّ نسخة أنْ تصبح قالبا قابلا للنسخ حتى تتضاعف وتتكاثر أكثر فأكثر.
3. طول العمر، فكلما عاشت المتناسخات مدّة أطول، تعززت حظوظها في النسخ.[16]

وهناك تشابه آخر بين الجينين البيولوجي والمعرفي، يتمثل في أنّ الأول تعتمد فيه الكائنات الحية على وسائل عدّة لتحديد المواقع كاستخدامها للتمويه والصدى وكذا عيون الفقاريات من أجل تحقيق التكيف وإيجاد حلول للمشكلات الصّعبة التي تعترضها. والثاني يخص نوع الإنسان العاقل المتمّيز بقوة خارقة للإدراك الذي له قدرة التّعرف على الأشياء، والتّخطيط للحركات وتنفيذها، ضف إلى التّذكر والفهم والتفكير.[17]

فلا فرق بين الميمة والفكرة. فالأفكار هي قوام الثقافة البشرية والثقافة هي الحدّ الفاصل بين ما هو إنساني وما هو غير إنساني. على هذا الأساس يمكن اتخاذ مشروعية المماثلة بين التطور الجيني والتطور الثقافي فجميع أشكال الجين الثقافي هي أفكار. إنهّما تركيب معرفي. ويستدرك "داوكينز" تجنبا لكلّ غموض موضحا بأنّ الفرق: «هو أنّ الفكرة لا تُعدّل سلوك الإنسان بحيث تجبره على نشرها وإنّما يتم نشرها لأسباب معينة "خارجية". أمّا الميم فغالبا ما ينتقل من مجموعة إلى أخرى فهو مخترق للجماعات والظروف المحليّة."فكما تنتشر الجينات في الجمعية الجينية عبر القفز من جسد إلى آخر بواسطة[18]حيوانات المنوية أو البيوض، فالميمات كذلك تنتشر عبر القفز من دماغ إلى آخر في الجمعية الميمية عن طريق التقليد. وهذه الميمات قد تكون ألحانا أو صناعة ما أو أفكارا. فإن قرأ مثلا عالم أوسع عن فكرة مميزة، يحاول نقلها إلى زملائه بواسطة محاضرات أو مقالات له، وتعرف إن كانت تنتشر وتنتقل من دماغ إلى آخر فقط إذا لقيت الفكرة النجاح.[19]

لكن هل نعتبر الميمة واقعة أنطولوجية أم مجرد فرضية ابستمولوجية؟

يردّ "داوكينز" موضحا: بأنه "ينبغي النظر إلى الميمات باعتبارها بنى حية، ليس على مستوى التشبيه فحسب. إنما أيضا من الناحية التقنية." ومؤكدا بأنّه: "عندما تزرع ميما خصبا في عقلي، تتطفل على دماغي وتحوّله إلى وسيلة لنقل الميم تماما كما تتطفل الجرثومة على الآلية الجينية للخلية المضيفة." ولا يستثني فيما تقدّم بقوله: "وهذه ليست طريقة في الحديث فحسب، فميم الإيمان بالحياة بعد الموت على سبيل المثال، يتحقق ماديا ملايين المرات كبنية في الأجهزة العصبية للأفراد من البشر في جميع أنحاء العالم."[20] فالميمات في هذا المنحى هي المادة الثقافية القابلة للنسخ، والحيوانات والناس عبارة عن آلات نسخ تنسخها وتحتفظ بها وتعمل بها و تنفلها إلى الآخرين وتتطور هذه الآلات عند توفر الطفر الجيني نحو التحسين –تبعا للميمات وتوسّعها وتكثرها وتراكمها إذ يمكن أنْ تكون أحد أسباب تثبيت جينات التحسين. ويمكن أن يُفسر حجم ونوع أدمغتنا فيمكن التوكيد أنّ توسع الثقافة "مدخلية" بكبر حجم الدماغ وتطوره النوعي باعتبارها جهة ضاغطة بهذا الاتجاه. وأنّ انتقال الميمات وترسّخها يعتمد على مبدأ التقليد والنسخ، أما نشوؤها المفروض فهو يعتمد بعض الأحيان على اختراعها عند الحاجة أو وقوع أخطاء أثناء التقليد تؤدي إلى نشوء ميم جديد.

وإذا تساءلنا هل يمكن للميمات تفسير أهم شيء في ثقافة الإنسان وهي خصوصيته كالإيثار الحقيقي الذي تعجز نظرية الجينة الأنانية عن تفسيره؟ يجيب "داوكينز" دون تردد -عندما يعرض أفكاره وخاصّة موقفه من طبيعة علاقة الدين بالعلم- قائلا: "من المحتمل أنّ يتفرد الإنسان بميزة أخرى هي المقدرة على الإيثار الحقيقي الأصيل والمحايد." ويردف قائلا مع نبرة التردد: "وإنْ كنت آمل ذلك، فلن أناقش هذه المسألة بطريقة أو بأخرى، كما لن أخمّن

تطورها الممكن من حيث التقليد."[21]إذ يضيف: "وما أود أنْ أتوقف عنده الآن هو أنّ تبصرنا الواعي، أي مقدرتنا على محاكاة المستقبل في المخيلة قد ينقدنا من الفائض الأناني الأسوء للمتضاعفات العمياء حتى وإنْ كنّا ننظر إلى الجانب المظلم ونفترض أنّ الإنسان الفرد أناني في الأساس.»[22]

ويلجأ صاحب "الجين الأناني" كعادته إلى استراتيجيته في بناء حجاجه بتوريط من يقرأ بلجوئه إلى "النحن" مؤكدا: "فنحن نتمتع أقله بالعتاد العقلي الذي يتيح لنا تطوير مصالحنا الأنانية الطويلة الأمد وليس المصالح الأنانية القصيرة الأمد فقط. فنحن نرى المنافع الطويلة الأمد وليس المصالح الأنانية الطويلة الأمد وليس المصالح الأنانية القصيرة الأمد فقط"ويكرّر مرة أخرى: "فنح نرى المنافع الطويلة الأمد للمشاركة في تآمر الميمات ويمكننا أنْ نجلس معا لنناقش سُبُل تحقيق المؤامرة"[23] فـ"النحن" تعرض كلّ ما يكمن عرضه من أنانية بعيدة عن الأنا الغيري. وكلّ الأحوال التي ندافع فيها عن مصالحنا الأنانية سواء أكان أساس دفاعنا ميمي ثقافي أو جيني وسواء كانت مصالح أنانية على المدى القصير البعيد. فنحن إنّما نتصرف بأنانية وليس بإيثار ولن يغير الإيثارالآني لأجل أنانية بعيدة المدى في كون التصرف أناني يهدف لتحقيق مصلحة وإنْ كانت بعيدة كما هو الحال في إيثار السمعة. ويلخّص"داوكينز" أسباب الإيثار الأربعة:

الأول:هو وجود لقرابة الوراثية كحالة خاصة.

الثاني: وجود رد الجميل المتبادل والمعروف بالمعروف وعمل المعروف بتوقع الدفع لاحقا وذلك يقودنا للنقطة

الثالثة: المنافع الداروينية الناتجة من وجود السمعة الحسنة للكرم واللطف.

والرابع: هناك منفعة إضافية للكرم المتبادل كطريقة لشراء دعاية أصليّة وغير قابلة للتزييف.[24]

2-الميمات والدين :

إنّ مفهوم الجين الثقافي، مفهوم مرن بطبيعته يمكن تطبيقه على أي شيء بدءا من الألحان والنغمات وصولا إلى الدين، فكيف فسّر "داوكينز" وجود الدين واستمراره؟ شبّه بعض الأفكار الدينية ببعض المورثات في خاصيّة الاستمرار، فمثل هذه الميمات لها أفضلية الاستحقاق لقدرتها على البقاء في البنك الميمي، وليس لقيمة الفكرة بذاتها، وبعضها تبقى لتكاملها مع ميمات أخرى متعددة في البنك الميمي كجزء من ميمات مركبة. [25]

ويقال عن الميمات بأنّها جينات الثقافة، خاصّة الدينية منها لأنّها تعتمد على قواعد ومعايير تحكمية لأنماط السلوك وتعمل على نشرها. وما يساعدها على نقلها للبشر، هو أنّ الإنسان لديه استعداد خاص لتصديق كلّ ما يأتي من الدين وكذا المعتقدات والطقوس والشعائر الدينية. [26] وهنا نستطيع أن نشبّه هذه الحالة بالطريقة غير الواعية للجينات، لأنّها تسلك هي الأخرى طرق لا عقلانية في عملياتها التي تتوجه بها مستقبلا فيما يتمثل في سعيها الدائم لإعادة إنتاج ذاتها لتتوالد وتحتفظ بنسلها إلى الأجيال القادمة.

بعض الميمات كالجينات يحقّق نجاحا باهرا على المدى القصير إذ لا يعمر وقتا طويلا لكنّه ينتشر بسرعة مثل الأغاني الشعبية والأحذية العالية المروّسة بعكس الميمات المتعلقة بالدّين فقد تستمر في الانتشار على مر آلاف السنين، ولعلّ سبب ذلك يعزى إلى الاستمرار المحتمل للسجلات المكتوبة. [27] فالدّين هو آلية فعّالة تنقل تعليمات تحكّمية مطلقة من جيل إلى جيل ليصبح بذلك بديلا كفؤا عن الجينة وقد يكون الدّين أو نزوع البشر للتدين نشأ نتيجة تطور جيني ثقافي مشترك يحوي عاملين مهمين ولازمين لتيسير التّطور الثقافي وهما الابتكار والانتخاب ليحقق تكيفا عاليا. ممّا يضفي على المعتقدات الدينية طابعا

نسباويا relativisteفي علاقتها مع العلم.[28]فالميم يحمل في بنيته صفات وراثية قابلة لنقل الإرث الدّيني والمعتقداتي، ويعمل الانتخاب على قبول أو انتقاء فكرة دينية ما في جيل ما من بين كل الأفكار الواردة فيعززها و يدعمها على التكاثر، وهناك شرط آخر مهم كذلك في هذه العملية التطّورية وهو الإبداع بطرح أفكار جديدة تتميز بقبولية الفهم والاستيعاب وتتوافق والأفكار الموجودة في البيئة الميمية لتحقيق التكّيف ويعلّق "داوكينز" في هذا المقام: "أنا أخمن أنّ مركبات الميمات المتكيفة معا تتطور تماما كما تتطور مركبات الجينات المتكيفة معا، فالانتقائية تحابي الميمات التي تستغل بيئتها الثقافية لمصلحتها، وتتكون هذه البيئة الثقافية من ميمات أخرى جرى انتقائها أيضا، ومن ثم تحضى الجمعية الميمية بمزايا مجموعة ثابتة التّطور يصعب على الميمات الجديدة غزوها."[29]

وهكذا يبنى هذا النهج الميمي على دعوى أنّ الأفكار الدينية مؤلفة من ميمات مختلفة، تتوافق أو تتنافس على الاحتفاظ بمكان استقرارها. ولجذب ذاكرة البشر وانتباهها، يمارس الانتقاء الطبيعي تأثيره فقط على الميمات، وعقول البشر هي الناقلات قد تكون وقتية لكنها دائمة أو طويلة المدى الزّمني فيما يخص تطور الأفكار الدينية. ويمكن للأديان والعقائد أن تبقى لأنّها تستخدم حيلا ميمية ذكيّة تكفل لها الانتقال وإقناع حامليها بالعمل الشاق، واستثمار الوقت والمال لنشرها وإشاعتها.[30]بمعنى أنّها تتجه إلى استخدام وسائل متنوعة قد تكون إغرائية وحتى خداعية بغرض تمرير أفكارها ونسخها في الأدمغة لتسهل عليها نشرها، ويقول "داوكينز" في هذا الصّدد: "ينزع الميم في العقل ليتطفل إلى الدماغ ويحوله إلى وسيلة لنقل الميم تماما كما تتطفل جرثومة على الآلية الجينية للخلية المضيفة، فميم الإيمان بالحياة بعد الموت على سبيل المثال يحقق ماديا ملايين المرّات كبنية في الأجهزة العصبية للأفراد من البشر في جميع أنحاء العالم".[31]

ويسوق لنا صاحب (وهم الإله)الأمثلة التي تلخّص طرق الميمات الدّينية جميعها في تلقين معتقداتها في ذاكرة المؤمنين بشكل يؤثر وبقوة على النفوس، ممّا يدفعها إلى التّسلح للدفاع عنها بشدّة لدرجة أنّه من الصعب دحض هذه الظواهر التي يصفها بالغيبية والخارقة للطبيعية، لكونها تشكّلت مقاومة عجيبة للمعتقدات المنافسة، ما يزيدها استقرارا وثباتا يصعب هزّه من مكانه وكيانه. وهناك حقائق غريبة– على حسب طرحه- كالقيامة والصّعود للسماء والثّالوث المقدس. وينصح بعدم محاولة فهمها: لأنّنا لم "نخلق" كي نفهمها، فعليك تعلّم قبولها فقط بوصفها بالأشياء الغامضة.[32] فالميمات الدينية من هذا النوع تزدهر وميمات أخرى من الدين نفسه وليس من دين آخر، وهي تحتاج إلى تعاون من ميمات خارجة عنها لأنها لا تستطيع أنْ تحافظ على بقائها من قدرتها الذاتية فحسب، فالروح الكاثوليك والإسلام مثلا لم يصمما من أفراد، ولكن تطورا بشكل مستقل كبدائل من الميمات التي ازدهرت برفقة أعضاء أخرى من نفس مجموعة الميمة المركبة.[33]

نلاحظ أنّ الأديان كذلك تتطور بآليات ذاتها للتّطور الجيني، كونه جزءا من النظرية الميميائية والوحدات الثقافية.فربط بين الجين المعرفي بالدّين باعتباره أكبر سلطان على أذهان البشر في مختلف أنحاء العالم ولأنّه يتمثل لكل الشروط اللازمة في تطبيق الميم، فلديه تلك النّزعة للانتقال من جيل إلى جيل بواسطة ناقلات حاملة كالكتابة أو الأشعار أو النّصوص أوحتى الموسيقى، وأفكاره يتوجّب عليها أنْ تمتثل للظروف المحيطة لتتواءم وتقاليد المجتمع، ضِف إلى غرضه في استنساخ وانتشار معتقداته لأكبر عدد ممكن من الأفراد والجماعات وحتى الأجيال، وتوزيعها في الذاكرة البشرية لتتمكن من مقاومة باقي الميمات المختلفة معها في الدين، ويتمّ تقييم وانتقاء أفكاره على مدى تداولها وتلقيها رواجا في

البيئة التي تنتقل فيها تلك الميمات أولا، كما أنّ من الانتخاب، حفاظا على التراث الفكري والدّيني من الاندثار .

إذ يؤمن "داوكينز" بأنّ العلوم الطبيعية ولا سيما البيولوجيا التطورية تمثل الطريق السريع إلى الإلحاد. ويعلنها صراحة بوضوح: "أن تكون ملحدا ليس شيئا يمكن الاعتذار منه بل العكس تماما، إنه شيء إلي يقتضي مني الوقوف بشمم أمام الأفق."[34]ثم يردف قائلا: "إنه شيء الذي يمكن أنْ نكون فخورين به، إذ كون الإلحاد هو ضرب من الاستقلالية الصحية للفكر بل أكثر من ذلك هو الفكر الصحيّ ذاته في جوهره."[35] لذلك كان همّه النضال من أجل الحقيقة في مواجهة الوهم الذي تفرزه المعتقدات الدينية من جهة. والمدافع "الشرس"للنظرية الداروينية للتطور في مقابل نظرية الخلقيةle créationnisme والثبوتيةle fixisme.

هنالك سؤال مركزي كان على "داوكينز" طرحه: لمَا بقي الدين رغم التطور الذي عرفه العلم والتفسيرات التي قدّمها لتساؤلات الإنسان عن كثير من معميات الكون والأمل الذي يحمله للإنسانية من إمكانية فك ألغاز الكون والوجود؟ لما تكريس الخرافة وما يترتب عنها من مآسي وتعصب وتناحر؟ أليس الدين يمثل كلّ التعاسة التي يعيشها الإنسان خاصّة في عصرنا هذا-كما لم يكف عن ترديده ونشره-؟ إنّ هذا التساؤل مشروع وخاصة يبدو أنّ المسألة عنده ليست معرفية فحسب إنها أنثروبولوجية وحلّها لتجاوز العوائق التي تمنع اصطدامات النّاس بعضهم عندما يشتغل الدين بمعتقداته في تغييب الفكر النقدي، الذي ينمّيه العلم والذي يحاربه الدين. بتحديد أكثر وتعبير أدق: هل الوعي الديني ليس إلا مرحلة متخلّفة أو بقايا عناصر ثقافية بائدة survivances culturellesفي العقل البشري تشي بسذاجة الإنسان في طرحه البائس أو بساطة إدراكه النقدي للعالم الذي يحيط به ؟[36]

لو نظرنا إلى الدين برؤية ميمائية سنعرفه بأنّه مجموعة من الميمات المتلاحمة التي تنتقل من معيل إلى آخر، هذه الميمات لتي تعلمت بعد فترة طويلة من التطور إن وجودها مع بعضها يضمن نقلها إلىأكبر عدد من المُعليين، قد خلقت أساليب وأدوات ميمية بحيث تضمن بقائها أكبر فترة ممكنة، فقد كانت أديان انقرضت التي لم تستطع أنْ تُلبّي حاجات المجتمع. وأيّ "ميم ديني" لا يتكيّف يتم استبداله بميم آخر، ولا تتساوى الأديان في طرق الأدوات التي كيّفتها عبر الزمن لكي تبقى. وتجدر بنا الإشارةإلى أنّ تشابه الأديان يعود إلى أنّها تنقل الميمات الناجحة من بعضها بعض.[37]

إنّ فرضية "داوكينز" التي استلهمت من بين ما استلهمت منه، دراسات للفيلسوف .Daniel Dunett C ولعلم النفس التطوري، مفادها أنّ كل المعتقدات الدينية هي منتوج فرعي لاستعدادات فطرية التي تطورت لأسباب أخرى غير تلك التي آلت إليها. فكلّها في جوهرها نافعة لبقاء والاستمرار بطبيعة الحال. فمخ الأطفال كما يلاحظ "داوكينز" مبرمج للاعتقاد فيما يقوله أولياءهم بشكل خاص ومن يكبرهم سنًّا بشكل عام. إنّ هذه التجربة الطفولية المبرمجة طبيعيا لها امتيازات تطورية واضحة. ولكنّ هذه المنظومة المعرفية ذات الأصل التطوري لها سلبياتها، كونها تُشجّع على انتقال المعلومات التي ليس لها أيّة فضيلة إلاّ أنّها تؤدي إلى الانتماء لتقاليد معينة.[38]

فالدين خرافة والإله وهماً. ولا وجود لمصمّم للكون أو لسعاتيّ سابق للوجود موجد لكلّ شيء. لقد كان من المتوقع لدى كثير من العقول النيّرة بهَدْي وهُدى العلم وانتشار ونشر وتعميم "روحه" والثقافة العلميّة، من موضوعيّة ووضعية و"الإيمان" بالحتمية والعقلانية "انقراض" الدين والمعتقدات، مثلما ينقرض أي كائن حي عندما يدخل في صراع من أجل

البقاء. إذ بفعل التطور الذي حققته الإنسانية في تفسير معميّات الكون وزوال مخاوف الإنسان التي تتغذى من جهله لقوانين الكون ونظامه. كان التوقع هذا منذ ما يزيد عن قرن من الزمان، أعلنه قبل "داوكينز" أنثروبولوجيون وعلماء اجتماع وعلماء نفس وفلاسفة، ليس أقلّهم من أمثال "أوغست كونت" Auguste Comte وقوانينه للحالات الثلاثة، إذ الحالة الوضعية تُعدّ أرقى الحالات التي تسود فيه العقلانية والتفسيرات المادية القائمة على الاستدلال التجريبي دون غيره من الاستدلالات الأخرى.[39] وإذا كان هذا التكهن قديما نسبيا ويعد حالة كما يراه "أوجست كونت" متطورة للتفكير الإنساني، فما الحاجة إلى أن يكتب "داوكينز" مؤلفا من أربعمائة صفحة معلنا مجددا ومرة أخرى أنّ الإيمان بعقيدة دينية خرافة وأنّ الإله مجرد هذيان؟ ويكون من المشروع في هذا المستوى من التحليل التساؤل: لماذا يعتقد "داوكينز" أنّ كتابه الذي يحمل فكرة قديمة-الإنسانية بحاجة إليه؟ بتحديد أكثر هل الوعي الديني ليس إلا مرحلة أو لحظة متخلفة في تطور العقل البشري تشي بسذاجة الإنسان في طرحه البائد أو بساطة إدراكه النقدي للعالم الذي يحيط به؟[40]

وهنا دعوته لا تخلو من الجديّة لكون مصير الإنسانية يتوقف على تجاوز تصور راهن سائد في صالح تصور جديد يكون له الغلبة في النهاية لا محالة. ولكونه بيولوجيّا وأستاذا متمرسّا تأثر بالنظرية التطويرية لـ"داروين"-التي تطرح مسألة الإيمان بالدرجة الأولى بوجود خالق صانع ومصممّ وتعارضها في جوهرها،[41]تؤسس لفلسفة تفسّر الفعل الإنساني تبعا لمفهوم "المام" le meme. وتوكيد بأنّه: "إذا راقبت كيفيّة اشتغال الانتقائية الطبيعية، فقد يبدو لك في النتيجة أنّ كلّ ما يتطور وفق الانتقائية الطبيعية سيكون حتما أنانيا."[42]ويتوقع بشيء من الأمل بأنّ هذه

"الحقيقة العلمية" تدفع لا محالة إلى إعادة ترتيب بيت الفكر وتطهيره من الخرافة ووهم وجود إله صانع للكون ومصمّم ذكي للكائنات الحيّة.

لقد حاول "داوكينز" أن يفسّر الدين تفسيرا تطوريا ويحق لنا أن نتساءل عن ماهية النتائج المنطقية التي يمكن أن تترتب على صحة هذا التفسير-رغم ا ناي تفسير من هذا القبيل سيظل دائما ينقصه الدليل الحاسم. فالقول بان ضمان تمثيل الجينات في المستودع الجيني السائد يعتمد على تعظيم عدد نسخها وهو ما يعني أنها عملية تتّسم بالأنانية، لا يعني أننا أنانيون فلا يوجد مانع يعوق تصور أن ينتج عن عملية الانتخاب الطبيعي الأنانية اللاأخلاقية تطور كائن اجتماعي يتمتع بقدرات ادراكية عليا تسمح بظهور حس اخلاقي معقد. أما محاولات الربط بين العلم والالحاد او ارتفاع مستوى التدين وانخفاض مستوى التعليم فهي مما يجب ان يخضع للفحص النقدي لفحص مدى مشروعيتها والوسائل التي تستخدمها والمناهج التي تتبعها.

خاتمةوتعقيب:

يرى "داوكينز" أنّ نظرية التطور، لها قدرة وافية وشاملة في تفسير الوجود والكائنات، ويؤكد على ضرورة التكيّف اللاّزمة لتحقيق التواصل والتلاحم مع العالم المحيط بنا، ولترتقي المخلوقات على ماهي عليه وتتطور بشكل فعّال ومستمر، كما اعتبر القوة الوحيدة التي تمكننا من اكتشاف العملية التي تقوم عليها الحياة هو "الانتخاب الطبيعي" الذي يتميز بقدرة إبداعية في خلق واختيار أنواع جديدة ولكنّه يختلف مع "داروين"، بأنّه يرى تلازم بين الصدفة والانتخاب. بينما "داوكينز" يرى عملية الانتخاب هي لا عشوائية وغير هادفة.فكان من الضروري أنْ يفسّر بما هو طبيعي، وليس من خارج الطبيعة ولا بتفسيرات غيبية، التي يرفضها كما يرفض لأنْ تكون لها أو للصدفة دورا في تناسق نظام الحياة وتناغمه المتكامل، وإنّما

الحياة هي نتيجة توجيها تطوريا، والمسؤول عن هذا التوجيه هو الانتخاب الطبيعي بالدرجة الأولى ولإثبات ذلك اعتمده في تمثيل الحياة على شاشة الحاسوب، من تمّ رصّد قدرته على صنع كائنات أخرى وجعلها تتطور من جيل إلى آخر، مما جعله يعتقد بأنه لا شأن لخالق في صنعها، وإنّما الصانع الحقيقي هو الانتخاب الطبيعي.

يعتبر "داوكينز" العلم أفضل أداة يكمن الوثوق بها في الوصول إلى الحقائق، لذا فلابد من أن تكون أمانة الحقيقة في يده وحده لكونه حريصا على ايصالها كما هي غير مشوبة أكثر من أي مجال آخر، كالدين مثلاً الذي يعتبره فرضية مليئة بالأوهام والتناقضات أو الأساطير التي تنزع نحو تفاسير سحرية ومضلّلة.

يرفض "داوكينز" الدّين كونه دوغمائيا وخياليا لأنه لا يقبل تحقيقا ولا تجريبا، لكنه في الحقيقة عبارة عن تشريعات تضبط سلوكيات البشر، وليس مادة لتخضع للتجريب أو لتطبق عليها مناهج علمية. فلقد اخترع "داوكينز" طريقة جديدة، لتطبق التطّور على الحياة الثقافية، وهي فكرة الميم حيث قابله بالجين، كونهما يجتمعان في الاشتراك في نفس المبادئ التّطورية ونفس الأهداف، فالميم بدوره وحدة ثقافية سريعة الانتشار والتوسع والتأثير على المجتمعات، وبقاءها يعتمد على مدى تكيّفها خاصّة وأنّه هناك تنافسا كذلك حاصل بين الميمات حول محاولة احتلال عقول الناس وجذبها، كما قد تتّحد مع ميمات أخرى جديدة تساعد على تنافسهم وانتشارهم.ونجد "داوكينز" يطبّق الميم على أنموذج الدين الذي يصفه بالفيروس، فميماته تقفز من عقل إلى آخر دون ضابط، وتستولي على الأمخاخ بسرعة رهيبة لتترسخ عن طريق النسخ والتقليد.

إن النظرة الداروينية التي قابلناها عند "داوكينز"،والتي تحرم الإنسان من أي مكانة خاصة مُسبقة تميزه عن غيره من الكائنات،وتجعل من ظهور الوعي والقدرة على التفكير المجرد نواتج لتطور الحيوان البشري واستمراره في صراع البقاء،تعكس-على المستوى الفلسفي-الكوجيتو الديكارتي من أنا أفكر إذن أنا موجود،إلى انأ أفكر لآني موجود.أن عقلي ماهو إلا ناتج من نواتج التطور،والنظر إليه بوصفه أداة من أدوات البقاء –وأهمها دون ريب-يُعبد السبيل أمامأنصار علم النفس التطوري لتفسير الكثير من الظواهر الثقافية والاجتماعية لهذا الموجود اللغز. وحسبنا في هذا السياق أن نلتفت إلى عالم الفيزياء جون بوليكن هورن*الذي رفض كل صور الواحدية المادية التي ترد الوجود بأسره إلى المادة،وأكد على تميز الوعي حيث يقول:"إن نظرية التطور تقع في مأزق بشأن علاقتها بالوعي. بقاء الكائن الحي يتطلب تفاعلا مؤثرا مع البيئة، ولكنه لا يتطلب الوعي بالذات، بل إن الاستغراق في الوعي بالذات قد يصرف الإنسان عن الانتباه للخطر، مما يجعله ذا نتائج سلبية بالنسبة للبقاء".[43]

وإذا كان البعض يرى أن"داروين" لم يعد للريب مكان،فإنّ "بولكين هورن" * يرى أن بعد صاحب مؤلف "أصل الأنواع":"لم يعد ممكنا التفكير في التنوع الرائع للحياة بوصفه خلقا فجائيا، أو تنفيذا نهائيا لتصميم إلهي مسبق، وتصميم أزليأبدى. وهذا ليس ثمة على وجه الإطلاق حجة تنكر تماماأي قصد إلهي أو غرض من هذا التطور الحيوي".[44]

لقد حاول "داوكينز" أنْ يفسر الدين تفسيرا تطوريا يتفق مع رؤيته باعتباره سلوكا تبذيرياً ينتهجه بعض البشر دون مبرر واضح. إلاّ أنه أخفق في إدراك الأهمية العاطفية للدين وهي ذات دلالة خاصة في حياة الشعوب وهو أمر يشهد به التاريخ.لم تخلو حياة أمة من الأمم منذ فجر

التاريخ من الاعتقاد في أساطير معينة أو قوى عليا. ويبدو العلم عاجزا على أن يشتغل هذا الفراغ الروحي.

على هذا النحو لا يُمثل الاعتراف بنظرية التطور مشكلة تتعارض مع العقيدة وتستدعي التوفيق والتلفيق أحيانا إلا انه قد يُشير أيضا – وبوضوح-إلى الخالق الواحد الذي اقتضت مشيئته أن تكون آلية التطور هي المسار التي تتخذه شتى أشكال الحياة في مسيرتها على وجه الأرض.

---

1. جون تيرني، "داروين آلان"، تر: عرين حسين، عواوده، المجلس البريطاني، متحف العلوم على اسم بلومفيد، القدس، 2008، ص.ص13–12

2. Roger Lewin, humanevolution : An Illustrated introduction, Black 2wellpublishingttd, USA-ED : 05,2005, P 20

332. برايان، ديبوراتشارلزوورث، التطور، المقدمة قصيرة جدا، ص 18.

4. دوجلاسفوتويما، العلم قيد المحاكمة، قضية التطوّر، تر: أحمد فوزي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2005، ص 34229

5. كارل بوبر، النفس ودماغها، تر: عادل مصطفى، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2012، ص 209.

6. برايان، ديبوراتشارلزوورث، التطّور، مقدمة قصيرة جدا، تر: محمد فتحي خضر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2016، القاهرة، ط1،ص 72

7.جون تيرني، "داروين آلان"، تر: عرين حسين، عواوده، المجلس البريطاني، متحف العلوم على اسم بلومفيد، القدس، 2008، ص.ص13–12

8. ريتشارد داوكينز، 2002، الجديد في الانتخاب الطبيعي (صانع الساعات الأعمى)، ترجمة مصطفى إبراهيم فهمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ص104.

9. المصدر نفسه، ص.111-106.

10. منى عبود، الميمياء، 2008، نظرية تطورية في تفسير الثقافة، دار بيسان، ط1، لبنان، ص 83-86.

11. ريتشارد داوكينز، 2009، الجينة الأنانية، ترجمة تانيا ناجيا، دار الساقي، مركز البابطين للترجمة، ط1، ص261

12. روبرت اونجر،2005، الثقافة من منظور دارويني، وضع مبحث الميمات كعلم، تصدير دانييل دنيت، ترجمة شوقي جلال، المجلس الأعلى للثقافة،ط1، القاهرة، ص300.

13. آلان غرافن ومارك ريدلي،2008، ريتشارد داوكينز عالم غيّر أفكارنا، ترجمة زينب حسن البشاري وهبة نجيب السيد مغربي، كلمات عربية للنشر، الإمارات، ص141.

14. أجنر فوج، الانتخاب الثقافي، مرجع سابق ص78.

15. الانتخاب الثقافي: هو استخدام المماثلة مع مبدأ الانتخاب الطبيعي، حيث تكون السّمات التكيفية الأقوى أكثر نجاحًا، ومن ثم أكثر قدرة على البقاء والتكاثر في بيئة معينة، بحيث لا يبقى خلال عملية التطور الثقافي إلاّ الثقافات الأكثر تكيفا، وتقوم البنية الثقافية بالتحكم في اختيار السّمات الشخصية للأفراد وسلوكاتهم واتجاهاتهم. أنظر: شارلوت سيمور سميث، 2009، موسوعة علم الإنسان، المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية، ترجمة علياء شكري وآخرون، المركز القومي للترجمة، ط2، القاهرة، ص112.

16. منى أحمد عبّود، الميمياء، مر جع سابق، ص35.

17. ألان غرافن ومارك ريدلي، ريتشارد داوكينز عالم غير أفكارنا، مرجع سابق، ص164.

18. ريتشارد داوكينز،الجينة الأنانية،مصدر سابق ص312

19. المصدر نفسه، ص313.

20. ريتشارد داوكينز، الجينة الأنانية،الصفحة نفسها.

21. ريتشارد داوكينز،2017، حوارتسيدني حوارات في النشوء والتطور والعلم وانكشاف فضاء الوهم،ترجمة قيس قاسم العجرش،طور للنشر والتوزيع،ص75

22. ريتشارد داوكينز،حوارات سيدني،ص 80.

23. ريتشارد داوكينز، الجينة الأنانية، ص323.

24. ريتشارد داوكينز، وهم الإله، مصدر سابق، ص 24

25. المصدر نفسه، ص201.

26. أجنر فوج، الانتخاب الثقافي، مرجع سابق،ص 77-78.

27. ريتشارد داوكينز، الجينة الأنانية،ص313.

28. علي عبد الواحد شهرودي،أطروحة العلم الديني والدين على ضوء معادلات العلم والدين، مجلة الاستغراب، مركزالإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، العدد 13، السنة الراب عةص26.

29. ريتشارد داوكينز،حوارتسيدني، ص190.

30. ريتشارد داوكينز، الجينة الأنانية، ص24.

31. روبرت أنجر، الثقافة من منظور دارويني، ص63.

32. ريتشارد داوكينز، الجينة الأنانية، ص314.

33. ريتشارد داوكينز، وهم الإله، ص202.

34. المصدر نفسه، ص203.

35. المصدر نفسه، ص203.

36. ريتشارد داوكينز، وهم الإله ص203.

37. ريتشارد داوكينز،2005، العلم والحقيقة، تأملات عن العلم والأكاذيب والحب، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة،ص50.

38. Robert Aunger, 2002, the Electric Meme, A New Theory of How We Think, New York Free Press, pp300-319.

39. Auguste Comte, 2012, Cours de philosophie positive, Ed numérique Pierre Hidalgo, la Gaya Scienzapp 168-170.

40. مرتشيا إليادة، البحث عن التاريخ ومعنى الأديان، تر. مسعود المولى المنظمة العالمية للترجمة، بيروت، ط1، 2007، ص22.

41. نظرية الداروينية أثارت مسألة الإيمان بوجود خالق للكون ومصمم أول للكائنات الحية. وما لقيته من نقد ورفض هو ديني في جوهره. أنظر: أممية خفاجي، 2003،أصل الإنسان وسقوط نظرية دارون، مطبعة سجل العرب، ط1 ص 137-139. وانظر: محمد فتح الله،2011، حقيقة الخلق ونظرية التطور، دار النيل للطباعة والنشر، ط5،ص 116-127.

42. ريتشارد داوكينز، الجديد في الانتخاب الطبيعي (صانع الساعات الأعمى)، مصدر سابق، ص22.

*. يعد بوليكن هورن John Polkinghome(1930-2021)احد ابرز علماء الفيزياء في المملكة المتحدة وهو عضو الجمعية الملكية للعلوم،تهتم مؤلفاته بإقامة علاقة ثرية بيم العلم والدين، ومن أهمها عالم الكوانتم1989،اكتشاف الواقع:تلاقي العلم والدين2007.

42. جون بولكين: ما وراء العلم: السياق الإنساني الأرحب، ترجمة وعرض: يمنى طريف الخولي، كراسات عروض، المكتبة الأكاديمية، القاهرة،2000 م، ص44.

44. جون بولكين، المصدر السابق، ص44.

قائمة المصادروالمراجع:

I-المصادر:

1. ريتشارد داوكينز ،2009،وهم الإله، ترجمة بسام البغدادي، ط2، ستوكهولم.

2. ريتشارد داوكينز،2002،الجديد في الانتخاب الطبيعي (صانع الساعات الأعمى)، ترجمة مصطفى إبراهيم فهمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

3. ريتشارد داوكينز، الجينة الأنانية، ترجمة تانيا ناجيا، دار الساقي، مركز البابطين للترجمة، ط1،

4. ريتشارد داوكينز،2005، العلم والحقيقة، تأملات عن العلم والأكاذيب والحب، المجلس الأعلى للثقافة، ط1،القاهرة

5. ريتشارد داوكينز،2017،حوارت سيدني،حوارات في النشوء والتطور والعلم وانكشاف فضاء الوهم،ترجمة قيس قاسم العجرش،طور للنشر والتوزيع

II-المراجع:

-العربية

6. أجنر فوج، الانتخاب الثقافي،ترجمة شوقي جلال،المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2005، القاهرة.

7. آلان غرافن ومارك ريدلي،2008، ريتشارد داوكينز عالم غيّر أفكارنا، ترجمة زينب حسن البشاري وهبة نجيب السيد مغربي، كلمات عربية للنشر، الإمارات.

8. أممية خفاجي، 2003، أصل الإنسان وسقوط نظرية دارون، مطبعة سجل العرب، ط1، القاهرة.

9. حسن مصطفى، نشأة الدين بين التصور الإنساني والتصور الإسلامي، دراسة في علم الاجتماع الديني، مؤسسة الإسراء للطباعة والنشر، ط5، قسنطينة.
10.داروين شارلز،2004، أصل الأنواع-نشأة الأنواع الحية عن طريق الانتقاء الطبيعي، ترجمة مجدي محمود المليجي، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة.
11.روبرت اونجر،2005، الثقافة من منظور دارويني، وضع مبحث الميمات كعلم، تصدير دانييل دنيت، ترجمة شوقي جلال، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة.
12.ستفن بكستر،2010، التطور، ترجمة قسم الترجمة بكلمات عربية والنشر، ط1، القاهرة.
13.عبد الغني عماد،2006، سوسويولوجيا الثقافة، المفاهيم والإشكاليات... من الحداثة إلى العولمة، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.
14.عبد الله بن صالح العجيري،2014، ميليشاالالحاد-مدخل إلى فهم الإلحاد الجديد، تكوين للدراسات والأبحاث، ط2، المملكة العربية السعودية.
15.محمد فتح الله،2011 حقيقة الخلق ونظرية التطور، دار النيل للطباعة والنشر، ط5، مصر.
16.مرتشيا إليادة، البحث عن التاريخ ومعنى الأديان، ترجمة مسعود المولى المنظمة العالمية للترجمة، ط1، بيروت.
17.منى عبود2008، الميمياء، نظرية تطورية في تفسير الثقافة، دار بيسان، ط1، لبنان.
18.جون بولكين، ما وراء العلم: السياق الانساني الأرحب، ترجمة وعرض: يمنى طريف الخولي، كراسات عروض، المكتبة الاكاديمية، القاهرة،2000.

-الانجليزية:

19. Auguste Comte,Cours de philosophie positive, Ed numérique Pierre Hidalgo, la Gaya Scienza, 2012.
20. Robert Aunger,the Electric Meme, A New Theory of How We Think, New York Free Press, 2002.

III-المجلات والموسوعات:

21.أحمد أبو زيد، التطورية الاجتماعية، مجلة علم الفكر، المجلد الرابع، العدد الثالث، يناير-فبراير-مارس، الكويت.
22.شارلوت سيمور سميث، 2009، موسوعة علم الإنسان، المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية، ترجمة علياء شكري وآخرون، المركز القومي للترجمة، ط2، القاهرة.
23.علي عبد الواحد شهرودي، أطروحة العلم الديني والدين على ضوء معادلات العلم والدين، مجلة الاستغراب، مركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، العدد 13، السنة الرابعة، 2018.
24.فتح الله خليف، مجلة علم الفكر، المجلد الرابع، العدد الثالث، يناير-فبراير-مارس، الكويت، 1973.
25.جون بولكين: ما وراء العلم: السياق الإنساني الأرحب، ترجمة وعرض: يمنى طريف الخولي، كراسات عروض، المكتبة الاكاديمية، القاهرة،2000.